وجعلنا من الماء كل شيء حي

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله ولي الصالحين، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله صاحب الخلق العظيم، اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد

أيها الإخوة المسلمون:

الماء هو وحدة البناء الأساسية في تركيب الكائن الحي إنسانًا أو حيوانًا كما أثبت علم الكيمياء الحيوية أن الماء لازم لحدوث جميع التفاعلات والتحولات التي تتم داخل أجسام الأحياء، فهو إما وسيط أو عامل مساعد أو داخل في التفاعل أو ناتج عنه يقول الله تعالى: وجعلنا من الماء كل شيء حي أفلا يؤمنون [الأنبياء 30]. ويعتقد العلماء أن~ الحياة أول ما دبت على الأرض دبت في الماء، ونحن نميل إلى ذلك، ونستأنس بقوله تعالى: وهو الذي خلق السماوات والأرض في ستة أيام وكان عرشه على الماء ليبلوكم أيكم أحسن عملا [هود 7].

ومن هذه الآية الكريمة يتبين مدى الأهمية الكبيرة للماء ومن هنا فقد حرص الإسلام على نظافة الماء وطهارته والامتناع عن تلويثه، يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: اتقوا الملاعن الثلاثة: البراز في الموارد، وقارعة الطريق، والظل.

والماء حق شائع بين الإنسان والمخلوقات، والانتفاع به في الإسلام مكفول للجميع بلا احتكار ولا غصب ولا إفساد ولا تعطيل ولا إسراف، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: الناس شركاء في ثلاث الماء والكلأ والنار.

الحفاظ على الثروة المائية:

يقول المولى جل جلاله في محكم التنزيل: وجعلنا من الماء كل شئ حي [الأنبياء 30]، كما يقول الخالق البارئ المصور في آية أخرى: وترى الأرض هامدة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج [الحج 5]، كما يقول أيضا في نفس السورة: أفلم يسيروا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور[الحج 46]. أما عن خلق الكون والمحيط ومقومات الحياة وما أفاء على البشر من نعم فيقول جل من قائل: الله الذى خلق السماوات والأرض وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم وسخر لكم الفلك لتجرى في البحر بأمره وسخر لكم الشمس والقمر دائبين وسخر لكم الليل والنهار واتاكم من كل ما سألتموه وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها إن الإنسان لظلم كفار [إبراهيم 32-34]، كلها نعم عامة ملموسة ومحسوسة جديرة بالحمد خليقة بالشكر والشكر كما سبقت الإشارة يكون باللسان أي بالقول كما يكون بالعمل من خلال زيادة الأعمال أو بالفعل بالتزام الحرص الكامل على المحافظة على هذه النعم بعيدا عن كل ما يلوثها أو يعوق نموها وتجنب الإسراف والتبذير والاستنزاف في الانتفاع بمعطياتها أو البطر بها فقد حذرنا المولى جل وعلا من البطر في

قوله: وكم أهلكنا من قرية بطرت معيشتها [القصص58]، وليس بعيدا عن المعنى أولئك القوم الذين ظلموا أنفسهم فنالوا غضب الله سبحانه الذي قال فيهم: وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها قرى ظاهرة وقدرنا فيها السير سيروا فيها ليالي وأياما آمنين. فقالوا: ربنا باعد بين أسفارنا وظلموا أنفسهم فجعلنا أحاديث ومزقناهم كل ممزق إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور [سبأ 18-19].

وقد أجمع المفسرون على أن الله تعالى ذكر ما كانت فيه أمم سابقة من النعم والعيش الرغد الهني والبلاد التي ينتشر في ربوعها الأمن والطمأنينة تتميز بكثرة أشجارها ووفرة زرعها وتعدد ثمارها بحيث أن المسافر بين قراها لا يحتاج لأن يحمل زاد أو مئونة ولا مياها بل يجد كل ذلك في متناول يده أينما حل أو ارتحل وقدر الله السير فيها بحيث أن المسافر يمكنه أن يستريح ظهرا في قرية منها ويبيت في قرية أخرى آمنا مطمئنا بعيدا عن الأخطار والمخاطر إلا أنهم لم يحمدوا هذه النعمة ولم يشكروا الله على ما أفاء عليهم بل بطروا ودعوه سبحانه وتعالى أن يباعد بين أسفارهم فمزقهم ولاشك في أن الله على كل شئ قدير.

ومرة أخرى نعود للقول بأن الماء هو أساس كل شئ حي سواء نزل الماء وكما ورد في مستهل هذا الفصل: هو أساس كل شئ حي سواء نزل بإذن الله من السماء أو عبر أنهار جارية أو من باطن الأرض فإن الأمر بالاعتدال وبتقنين الاستهلاك وعدم الإسراف فيه وتبذيره فهو جل جلاله القائل: كلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين [الأعراف 31]، كما أمرنا رب العزة بأن نأخذ من كل شئ بقدر أي في حدود احتياجاتنا الفعلية دون إسراف أو مغالاة لأنه جل جلاله لا يحب المسرفين فكيف نرضى لأنفسنا نحن البشر أن نأتي أمرا أو فعلا لا يحبه الله؟ كذلك فإن رسولنا الكريم عليه أفضل الصلاة والسلام أمرنا بالاقتصاد حتى عند الطهارة الصغرى أي الوضوء ولو كنا على نهر جار ذلك أن استنزاف المياه والإفراط في استخدامها من شأنه أن يؤدى إلى نضوب هذه المياه خاصة الجوفية أو ملوحتها وانعدام صلاحيتها للإنسان والنبات والحيوان.

الماء من أهم المواد الضرورية للحياة

لا يستطيع الإنسان أن يعيش بدونه أكثر من أيام قليلة. فقد جعل الله منه كل شيء حي، إذ يؤلف ثلثي خلايا البدن، وتسعين بالمئة من سوائله وفيه تجري جميع التفاعلات الحيوية في البدن، وهو يساهم في تنظيم حرارة الجسم بالتعرق.

والجسم يطرح كل يوم ما بين لترين وثلاثة ألتار من الماء، في الكليتين (1400 غ) والجلد (855 غ) والرئتين (800 غ) والأمعاء (بضعة غرامات). ويعوضها بالماء الذي في طعام الإنسان وشرابه.
والماء ضروري لوضوء الإنسان واغتساله ونظافة بدنه: وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به [الأنفال 11]. وهو ضروري كذلك لنظافة مسكنه وحوائجه، وضروري أيضا للنظافة العامة، ولا غنى عنه للصناعة ولا الزراعة: وهو الذي أنزل من السماء ماء فأخرجنا. به نبات كل شيء [الأنعام 999].

وهذا هو بالضبط ما ورد في الهدي النبوي من ضوابط. فقد وردت الأحاديث الصحيحة التالية عن النبى:

- لا يبولن أحدكم في الماء الراكد [رواه ابن ماجة]
- نهى الرسول أن يبول الرجل في مستحمه [رواه أبو داوود]

- لا تبل في الماء الدائم (أي الراكد) الذي لا يجرى ثم تغتسل منه [رواه مسلم]
- لا يغتسلن أحدكم في الماء الدائم (أي الراكد) وهو جنب [رواه مسلم]
- اتقوا اللاعنين (أي الأمرين الجالبين اللعنة لفاعلهما) قالوا: وما اللاعنان؟ قال: الذي يتخلى [تغوط]، في طريق الناس وفي ظلهم [رواه مسلم]
- اتقوا الملاعن الثلاث: البراز في الموارد، وقارعة الطريق والظل [رواه أبو داوود]

ففي هذه الأحاديث تحريم التبول التغوط في الموارد، وهي جميع المصادر التي يستقى منها الماء الحديث السادس، مع تخصيص للماء الراكد، الذي رأينا أنه أنسب المياه لنمو الطفيليات (الأحاديث الأول والثالث والرابع). وفيها النهي عن أن يبول الرجل في مستحمه، أي الماء الذي يستحم فيه (الحديث الثاني). وهذا من جهة لفن نظر للمرء إلى أن هذا الماء الذي يبول فيه الآن قد يستحم فيه فيما بعد، وهي وسيلة تربوية لجعله يستنكر ذلك. ومن جهة أخرى وقاية للآخرين ، لأن التبول في هذه المياه الراكدة الساكنة التي يستحم الناس فيها عادة (ومنها الترع والسابح) مدعاة لعدوى الأمراض.

وفي هذه الأحاديث أيضاً النهي عن التغوط في الظل. وفي هذا بالإضافة الناحية الاجتماعية التي تقبح أمكنة اعتاد الناس أن يستريحوا فيها، إشارة مهمة إلى الناحية الصحية، لأن أماكن الظل لا تتعرض إلى أشعة الشمس القوية بما فرثا من خصائص قاتلة للجراثيم. وقد تقدم أن الظل يحافظ على، الرطوبة اللازمة لحياة يرقات الدودة الشصية.

ويقاس على البول والبراز كل ما يتلوث به الماء، ويصيب الإنسان في صحته، كإلقاء فضلات المصانع، والحيوانات النافقة، والقمامة، في الأنهار والترع والمصارف، وكذلك غسل الملابس الملوثة بالجراثيم في مياهها، وكل ما يؤدي إلى إفساد البيئة، وإهلاك ما فيها من حيوان أو نبات. فقد قال الله عز وجل: " ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها [الأعراف 85]، وذم سبحانه كل شخص آدا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد [البقرة 205].

وجاء أيضا في الإرشادات النبوية، التحذير من ترك أواني الطعام والشراب مكشوفة، كحديث عائشة: " كنت أصنع لرسول الله ثلاثة آنية من الليل مخمرة[أي مغطاة] : إناء لطهوره ، وإناء لسواكه، وإناء لشرابه " وحديث جابر " أمرنا النبي r أن نوكيء [نربط فوهة] أسقيتنا ونغطي آنيتنا " (رواه ابن ماجة). وفي ذلك حفظ للطعام والشراب من سقوط الحشرات المؤذية التي تنقل جراثيم المرض، وهذا من أهم سبل الوقاية والتحفظ من الأمراض وأسبابها.

الماء والنظافة

اهتم الإسلام اهتماماً كبيراً بنظافة جسم الإنسان، ويظهر لنا هذا الاهتمام جلياً، في تشريعاته المسامية، المتمثلة في إيجاب الوضوء والغزل، والأمر بغسل اليدين قبل الأكل وبعده، وغسل الثياب وتطهيرها، وما إلى ذلك، وربط ذلك بالعبادات الفردية والجماعية، توكيداً لإصرار الإسلام على الربط المتكامل بين الجسم والروح.

ففي الوضوء يتم غسل الأعضاء التى هي عرضة للتلوث والغبار كثيراً ، كالوجه واليدين، أو التي هي عرضة للتعطن كالأرجل. وقد جعل الله الوضوء شرطاً لصحة الصلاة موضحاً أنه " ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم [المائدة: 6]. كما اشترط الطهارة لصحة الطواف بالبيت الحرام، وقال تعالى: إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين [البقرة 222] وقال سبحانه: فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين [التوبة 109]. كما أن صلاة الجماعة مع المسلمين تستلزم حسن: الحال بالنظافة، حتى لا تنفر النفوس من حضورها. وبالجملة فالإسلام قد ختم على المسلم أن يسكون نظيفاً خالصاً من الأقذار والأدران والنجاسة، ويتلخص ذلك في قول النبي: الطهور شطر الإيمان [رواه مسلم].

وقد شرع الله الوضوء وجعله فرضاً على كل من يريد الصلاة، فقال تعالى:
يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق ، وامسحوا برؤوسكم ، وأرجلكم إلى الكعبين [المائدة 6].

وقال النبي عليه السلام: لا يقبل الله صلاة إلا بطهور(رواه ابن ماجة).

وقال: لا صلاة لمن لا وضوء له (رواه ابن ماجة)، وقال: مفتاح الصلاة الطهور (رواه أبو داوود)
وصح أن عثمان رضى الله عنه دعا بوضوء فأفرغ على يديه من إنائه، فغسلهما ثلاث مرات، ثم أدخل يمينه في الوضوء ثم تمضمض واستنشق واستنثر [أخرج الماء من أنفه بالنفخ]، ثم غسل وجهه ثلاثاً، ويديه إلى المر فقين ثلاثاً ، ثم مسح برأسه، ثم غسل كل رجل ثلاثاً، ثم قال رأيت النبي r يتوضأ نحو وضوئي هذا " (رواه البخاري).

فالآية والحديث طلبا من المسلم الذي يريد الصلاة غسل الوجه واليدين، والرجلين، ومسح الرأس، وأضاف الحديث إلى ذلك تنظيف الفم بالمضمضة، وتنظيف الأنف بالاستنشاق والاستنثار. وبذلك يتحقق غسل الأعضاء الظاهرة التي يكثر تعرضها للتلوث كما أشرنا آنفاً. وقد يتعدد ذلك بعدد الصلوات في اليوم والليلة لمن انتقض وضوؤه قبل كل صلاة.

وهكذا يؤكد الإسلام على هذا الانسجام الكامل والتوافق التام بين طهارة الروح وطهارة الجسد، فهذه الطهارة الجسدية التي هي الوضوء، مفتاح للطهارة الروحية التي هي الصلاة، وفي ذلك ضمان للصحة النفسية للمسلم، فليس هناك أي صراع أو فصام بين الروح والجسد، وإنما هما عنصران متكاملان يتخلل كل منهما الآخر، كما يدل على ذلك الحديث التالي: " إذا توصأ العبد المسلم فتمضمض خرجت الخطايا من فيه [فمه]، فإذا استنثر خرجت الخطايا من أنفه، فإذا غسل وجهه خرجت الخطايا من وجهه حتى تخرج من تحت أشفار [أطراف أجفان] ، عينيه، فإذا غسل يديه خرجت الخطايا من يديه، حتى تخرج من تحت أظفاره، فإذا مسح رأسه خرجت الخطايا من رأسه حتى تخرج من تحت أذنيه، فإذا غسل رجليه خرجت الخطايا من رجليه حتى تخرج من تحت أظفار رجليه (رواه مسلم).

ولم يهمل الإسلام حالة من لم ينتقض وضوؤه، إذ قد يكتفي بالوضوء مرة أو مرتين في اليوم والليلة، بل حثه على تكرار وضوئه وتجديد نظافته. فقد كان النبي يتوضأ لكل صلاة (رواه الترمذي). وإذا كان لم يوجب ذلك

على أمته، فإنه قد رغب فيه فقال: لا يحافظ على الوضوء إلا مؤمن (رواه الدرامى)، وقال: " من توضأ على طهر كتب الله له به عشر حسنات " (رواه الترمذي).

كذلك دعا الإسلام إلى الوضوء في عديد من المناسبات الأخرى، غير مناسبة الصلاة. فقد طلب من الجنب الوضوء إذا أراد الأكل أو النوم. والجنب هو ، باشر العملية الجنسية، أو نزل منه المنى ولو لم يباشر العملية الجنسية. والجنابة تستلزم الغسل أي غسل البدن كله. وعلى الرغم من ذلك نرى تشجيع الجنب على الوضوء ريثما يغتسل. فقد" سئل النبى عن الجنب هل ينام أو يأكل أو يشرب فقال: نعم! إذا توضأ وضوءه للصلاة (رواه ابن ماجة)، وضرب المثل لأمته. بذلك فقد كان " إذا أراد أن ينام وهو جنب توضأ وضوءه للصلاة (رواه مسلم).

كما طلب الإسلام من الرجل إذا اتصل بزوجته جنسياً، ثم أراد أن يباشر هذه العملية مرة ثانية، أن يتوضأ قبل المباشرة الثانية . ففى الحديث: إذا أتى أحدكم أهله، ثم أراد أن يعود فليتوضأ (رواه مسلم).

كذلك يسن الوضوء قبل النوم، ففى الحديث: إذا أتيت مضجعك، فتوصأ وضوءك للصلاة " (متفق عليه)
كما يسن الوضوء عند الغضب، ومن مس الميت، ومن حمله، وعند قراءة القرآن والحديث، وعند تلقى العلم، ودخول المسجد، والأذان، والخطبة، وزيارة القبور.

وقد أمر النبى بإسباغ الوضوء، وهو إتمامه وإحسانه حتى يوفى كل عضو حقه من النظافة، فقال في حديث له: أسبغوا الوضوء (رواه أبو داوود)، وقال: إسباغ الوضوء شطر الإيمان (رواه ابن ماجة). حتى إن رجلا توضأ فترك موضع ظفر عن قدمه، فأبصره النبى فقال: ارجع فأحسن وضوءك (رواه مسلم).

ومن هذا كله نرى، "أنه لا يكاد يعلق بالجسم بعض إفرازاته، أو شيء من الأتربة أو الأقذار من خارجه، إلا ويأتي الوضوء على عجل فينزعها عن جسم الإنسان، فيسلم بدنه، ويألفه من يجاوره ولا يتأذى أحد من قذارته. وهكذا نجد أن الوضوء هو الضمانة الأكيدة لنظافة البدن ونصرته، ونقائه وصفائه.

الخطبة الثانية:

- للماء أهمية قصوى في الإسلام، اذ يعتبر نعمة وهبة من الله لإدامة الحياة ولتطهير البشر والأرض.
- الماء من أهم عناصر وجود واستمرار الحياه على كوكبنا ويجيئ ذكر الماء في القرآن الكريم ثلاثا وستين مرة وكلمة "نهر" و"أنهار" اثنتين وخمسين مرة وكذلك فإن كلمات مثل "العيون" و"الينابيع" و"المطر" و"البرد" و"الغيوم" و"الرياح" ترد مراراً عديدة في القرآن الكريم لتذكير الإنسان بنعم الله.

الحقوق الأساسية في المياه

للبشر في نظر الإسلام، كما في المسيحية واليهودية، الحق الأول في الموارد التي منحها الله لعباده. وثمة إقرار من العلماء المسلمين بأن الأولوية في حقوق استعمال المياه هي على النحو التالي:

- أولا حق الشرب، أي قانون العطش أو حق البشر في الشرب وإرواء عطشهم.

- ثانيا حق الشفة، وهو حق الماشية والحيوانات الأليفة.
- ثالثا حق الري.
- رابعاً للبيئة حق واضح لا لبس فيه في الإسلام. والله سبحانه وتعالى يذكر الناس بحق الحيوانات إذ يقارن بين الإنسان: "وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم.

المياه كمنفعة عامة

- الماء أولا وقبل كل شيء منفعة اجتماعية في الأسلام، فهو هبة من الله وعنصر ضروري لاستمرار الحياة.
- المياه ملك للمجتمع بأسره، وليست ملكاً لأي فرد بالمعني الحرفي للكلمة.
- أولى الأولويات في استعمال المياه هي الحصول على مياه الشرب بكمية ونوعية مقبولين للحفاظ على حياة البشر، ولكل كائن حي الحق في الحصول على هذه الحاجة الأساسية.

دور المرأة في إدارة المياه

مشاركة المجتمعات المحلية في أية قضية تهمها، ومن ضمنها إدارة المياه، هي إلزامية في الإسلام. فالقرآن يصف المؤمنين أن "وأمرهم شوري بينهم". إن الشورى، حسب الإسلام، مطلوبة ممن لهم صوت مسموع، بمن فيهم النساء. وبما أن المرأة هي المسؤولة بالدرجة الأولى عن الإدارة المنزلية ، وبما أنها أكثر اهتماما، وبشكل متواصل، بالأمور المتعلقة بالنظافة وإدارة النفايات، فإن مشاركتها لا تقل أهمية عن مشاركة الرجل إن لم تكن أهم. ومع ذلك فإن النساء عليهن ان يحافظن على كل قطرة ماء وإياهن من الإسراف (لا سرف في الماء).